الفصل الخامس

من كتابات بعض المنصفين للإسلام من المستشرقين

هناك الكثيرون من كتاب الغرب المنصفين للإسلام الذين كتبوا عن عظمة هذا الدين، وفندوا الأكاذيب التى روجها البعض ممن كتبوا عن أنه دين (الجهاد) بمعنى (العدوان) على الغير، وذلك عن تعمد للإساءة إليه، أو عن جهل وعدم فهم. وفى كتاب مهم للأستاذ (رجب البنا)[1]: قدم نماذج من الكتاب االذين تحدثوا عن الإسلام بإنصاف وفندوا الأكاذيب المنتشرة عن (الجهاد فى الإسلام).

ومن أحدث الكتب التى ترجمت هذه الأيام، كتاب للمفكر (مايكل مورجان) الدبلوماسى السابق، مؤسس ورئيس منظمةNew Foundations For peace أسس جديدة للسلام، تحت عنوان (تاريخ ضائع)[2] ويتحدث عن: حضارة الإسلام ومكانتها التى أثارت اهتمام العالم وتطلعاته، والأثر الذى أحدثه المسلمون الأوائل فى المجتمع الحديث، وفى العلوم والثقافة، وكيف أن عصور القادة المسلمين وعلى رأسهم النبى محمد ﷺ تجلت فيها مظاهر التسامح الدينى[3].

---

(١) رجب البنا- المنصفون للإسلام فى الغرب- دار المعارف سنة ٢٠٠٥م.

(٢) مايكل هاميلتون مورجان- ترجمة أميرة نبيه بدوي- تاريخ ضائع- نهضة مصر _ ترجمة أميرة نبيه سنة ١٩٧٧م.

(٣) مايكل هاميلتون مورجان- ترجمة أميرة نبيه- تاريخ ضائع سنة١٩٧٧.

إنــه تاريخ يزخر بالأفكار العظيمة، ويعزز قيم التســامح والتعايش، ويعــج بالإنجــازات الفكرية، ومــن أهم ما تضمن الكتــاب عن (القيادة المستنيرة). قوله أن [السـلوك المستنير الديمقراطى، والتوصل إلى إجماع الرأى، وفض المنازعات والاســتجابة مع آراء العامة، قد تجسدت هذه الأمــور كلها فى القرآن الكريــم، وفى أفعال النبى ﷺ، وأن البحث فى الوثائق القديمة يشير إلى أن أول القادة المسلمين ممن حاولوا تطبيق رؤية القيادة بشــكل عملى هــم (الخلفاء الراشــدون)، وعلى وجه الخصوص (أبوبكــر الصديــق) وهو أول خليفة بعد النبىَّ محمــد ﷺ، وكذا (عَلِىّ) وهو ابن عم النبى ﷺ، إنَّ مثال قيادة (أبى بكر الصديق) مُحتفظ به فى تصريحات غاية فى البلاغة[1].

❁❁❁

كتاب الإسلام فى عيون غربية

بــين افتراء الجهــلاء وإنصــاف العلماء للدكتــور (محمد عمارة)

يؤكد أنه لا مشــكلة فى الإسلام بين الإنسان الغربى أو العلم الغربى إنما المشــكلة مع مؤسســات الهيمنة الغربية هى السياســية والكنسية، والإعلامية.

---

(١) مايــكل هاملتــون مورجان- نهضة مصــر للطباعة والنشــر- تاريخ ضائع ص٢٥٤.

ففى مشروع هذه الهيمنة، بدأ الافتراء على الإسلام منذ ظهور الإسلام. وفى هذا الكتاب يقدم الصورة الحقيقية (للإسلام الدين)، والدولة والأمة والحضارة، شهادات غربية على تجذر الافتراء الغربى على الإسلام، وشهادات غربية لعشرات من أعلام الثقافة الغربية تصف الإسلام على النحو الذى يجب أن يتعلم منه القراء الحقيقة، أما الكاتبة البريطانية (كارين أرمسترونج)[1] فقد اهتمت فى عدة كتب لها بتصحيح الكثير من المفاهيم الخاطئة التى تبناها الكثيرون فى الغرب ضد الإسلام. ومن هذه الكتب كتاب عن (سيرة النبى ﷺ)، وكتاب (محمد نبى لزماننا). وفى الفصل الأول من كتابها عن (سيدنا محمد ﷺ) أرجعت أسباب عداوة الغرب للإسلام والتهم التى كيلت للنبى إلى (الجهل والخوف).

وفى كتاب (محمد نبى لزماننا) أكدت الكاتبة أن محمدًا شخصية نموذجية له دروس مهمة ليس للمسلمين فحسب، ولكن للعالم الغربى أيضًا، وأن حياته كانت قائمة على (الجهاد) الذى لا كلل فيه ضد الطمع، والظلم، والغطرسة، والتكبر)، وأن العالم فى حاجة إلى (محمد نبى لزماننا).

وعن الجهاد تقول كارين أرمسترونج:

إنَّ كلمة الجهاد، لا تعنى الجهاد المقدس وإنما تعنى الكفاح، فلقد كافح (محمد) كفاحا مريرا لجلب السلام إلى بلاد العرب التى مزقتها الحروب، ولقد أدرك محمد أن بلاد العرب كانت فى نقطة تحول وأن

(١) كارين أرمسترونج- محمد- ترجمة د. فاطمة نصر و د. محمد عنانى شركة صحارا للطباعة- مدينة نصر.

الطريقة القديمة فى التفكير لا تكفى لإرساء قواعد السلام فى بلاد العرب لذلك حمل على نفسه وعاتقه جهودًا خارقة مبدعة لإخراج حل جديد كلى لبلاد العرب.

إن محمدًا كان يمتلك عبقرية عميقة مَكَّنته من إقامة الدِّين وتأسيس عادات وتقاليد ثقافية، لم تستند على السيف، ولكن بُنيت على السلام والمصلحة المبينة، وتمنت الكاتبة أن يوجد فى هذا الزمان رجال يعملون مثل أعمال محمد ولذلك كان عنوان كتابها (محمد نبى لزماننا).

وقدمت (كارين أرمسترونج)، مفهوما (للجهاد) يختلف عن مفهوم الدعاية المسمومة المحمومة..[1] فقد خاض (محمد) معارك إيجابية، واعترك مع الواقع ليردع الظلم، ويدفع العدوان، أى قدَّم الفعل الإيجابى لتحقيق العدالة ومقاومة الظلم، فحروب الإسلام كانت دفاعية، وردًا للعدوان بالإضافة إلى كونها وسيلة لفرض السلام الإسلامى الذى أمكن فى ظله وقف حَمَّامَات الدم، وإقامة مجتمع عادل أساسه القيم الرفيعة إذًا فالجهاد هو النِّضال المستمر ضد الذَّات، وضد الآخر من أجل تحقيق الإرادة الإلهية، والعمل على إسعاد البشرية.

فالإسلام لم ينتصر، ولم ينتشر عن طريق السيف، ولم تكن الحرب وسيلة أو هدفًا له قط، وعلى عكس ذلك فهو دين الاستمراريّة مع الماضى، وعقيدة سلم وتسامح[2].

---

(١) كارين أرمسترونج- محمد- ترجمة د. فاطمة نصر. ومحمد عنانى سنة ١٩٩٢- شركة صحارا للطباعة- مدينة نصر.

(٢)كارين أرمسترونج- محمد- ترجمة د. فاطمة نصر. ومحمد عنانى سنة ١٩٩٢- ص٩.

وهذا كتاب (محمد رسول الله) للمستشرق الفرنسى (اتيين دينيه)[1] و(سليمان إبراهيم الجزائرى) ترجمة إلى العربية الدكتور عبد الحليم محمود وابنه محمد عبد الحليم محمد.

ويقول فيه إن الرسول من بين جميع الأنبياء الذين أسسوا ديانات، هو الوحيد الذى استطاع أن يستغنى عن مدد الخوارق والمعجزات المادية. متعمدًا فقط على بداهة رسالته ووضوحها. وعلى بلاغة القرآن الإلهية. وإن فى استغناء محمد عن مدد الخوارق والمعجزات المادية لأكبر معجزة على الإطلاق.

وقد استحق أن يكون [الرحمة المهداة] وأن يلقب [بنبى الرحمة] حيث وصف بأنه كان هادئ الخلق، حليم الطبع. لا تكبر فيه ولا خشونة. لا يدعوه أحد إلَّا أجابه فى الحال. يحب الأطفال. ويلاعبهم ويضمهم إلى صدره الكريم، وقد رُئِى مرارًا يصف أولاد عمه (العباس) ليتسابقوا، ويعد للفائز منهم جائزة، فيتنافسون فى اللحاق بأحضانه والجلوس فى حجره. وكان يرعى شئون الجميع. سواءً فى ذلك الأشراف والعبيد وقد روى أن الناس أغفلوا مرة إخباره بموت خادمة فقيرة تعمل فى المسجد، فغضب لذلك غضبًا شديدًا وسأل عن المكان الذى دُفنت فيه حتى وجده، فجلس يصلى على الميت.

وكان إذا رفع سائل شفتيه إلى أذنه يكلمه سرًّا، يميل برأسه إليه حتى يردها الرجل إليه.

ومن كلامه ﷺ:

---

(١) إيتيين دينيه- محمد رسول الله- ترجمة د. عبد الحليم محمود و د. محمد عبد الحليم محمود.

[لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه] ولم يرفع يده أبدًا على امرأة أو على عبد]. روى أنس الذى خدم الرسول عشر سنين أن سيدهُ لم يلمه أبدًا على شىء، ولم يراجعه فى أمر، وروى أبو ذر: أنه سمع الرسول يوصى بالخدم والعبيد، ويدعو إلى معاملتهم كإخوة فى الدين، وعدم الإجحاف بهم فى المأكل والملبس.

روى أعرابى ممن كانوا بغزوة (حنين) أنه كان يلبس نعلين غليظين، فداس عفوًا فى هرج المعركة على قدم الرسول، فضربه بسوطه، من الألم. فبات الأعرابى مهمومًا لما بدر منه من إيذاء للرسول ولما كان الصباح، أرسل النَّبىُّ فى استدعائه فأتاه خائفًا حائرًا. ولكن النبى طمأنه ووهب له ثمانين نعجة فدية لغضبه، وضربهِ إنسانًا، ومنذ ذلك اليوم، وحِلْمُ الرسول يسبق دائما ثورته وكانت طبيعته الرحمة والمحبة والحنان إذا تألم صغير من افتقاره إلى عطف الأم، وشُغل كثيرًا بمسائل التربية، وعلاقة الأبناء بالأمهات وكان يؤكد دائمًا أن (الجنة تحت أقدام الأمهات) ولم تكن فطنته العجيبة ومعرفته بخطايا النفوس وجواهر الأشياء لتمنعاه من مشاورة أصحابه فى كل الشئون.

ويذكر عن عائشة فى هذا الشأن أنها لم تر إنسانًا قط يحب المشاورة كما يحبها (محمد).

وكانت أخلاق الكرم تَحوُلُ بين الرسول والسخرية المبتذلة أو القاسية. ولكنه كان مرحًا يحب المداعبات التى لا يحرمها الله والتى فيها شىء كبير من الحق إن لم تكن الحق بعينه.

ومن كُتَّاب الغرب الذين أعجبوا بالرسول (جوته)[1] وهو فى (ديوان الغرب والشرق)، يذكر بعض آيات من القرآن الكريم، وفى كتابه (الدراما المحمدية) وقصائده أبدى إعجابه بالرسول ﷺ، ومنها قصيدة (بعثة محمد) وقصيدة أغنية محمد) وظهرت فى كتابات (جوته) رؤيته للإسلام التى أكدت غلبة روح التسامح والقدرة على التواصل، والحوار الإنسانى، والدعوة إلى عمل الخير.

ومن كتاب الغرب المنصفين للإسلام (ليوتولستوى) فى رده على الشيخ (محمد عبده) حين تحدث عن قيم الإسلام وقال: [إذا كان الإسلام هكذا فأنا مسلم].

وممن تأثروا فى كتاباتهم بقيم الإسلام وسماحته، لوركا، شاعر إسبانيا الكبير، وليسنج، الأديب الألمانى الكبير.

ومن أعظم المستشرقين دفاعا عن الإسلام وإنصافًا له، (أنا مارى شميل) التى تفرغت لدراسته أكثر من ستين عامًا وتركت عشرات الكتب والأبحاث تؤكد رؤيتها المنصفة، وقد كتب عنها بإفاضة وحب وإعجاب، الأستاذ (رجب البنا)[2].

*وفى كتاب هام للكاتب الأمريكى (جون.ل.اسبوزيبو) تحت عنوان: (التهديد الإسلامى خرافة أم حقيقة) انتقد الكاتب من وضعوا الإسلام كعدو بديل للشيوعية مع انهيار الاتحاد السوفيتى وإنتهاء الحرب الباردة.

---

(١)عبد الرحمن صدقى- الشرق والإسلام فى أدب جوته- المكتبة الثقافية (١٠) وزارة الثقافة والإرشاد القومي- مصر (دار القلم).

(٢)رجب البنا- المنصفون للإسلام فى الغرب- دار المعارف.

وتأتى أهمية هذا الكتاب أنه صدر قبل أن تقع أحداث سبتمبر فى أمريكا.

يقول الكاتب: [الآن بعد موت الشيوعية هم يعتبرون الإسلام العدو المقبل ليختبروا ضده قوتهم].

وهذا التنبيه جاء فى وقت مبكر، لكن للأسف نجح المتطرفون من الجانبين فى إشعال حرب باردة بين (الغرب والإسلام) وهذه الحرب إذا استمرت لن تنتهى بالنصر لأحد.

وفى كتاب شاعر فرنسا الكبير (الفونس دى لاماريتن) حياة محمد- الذى ألفه عام ١٨٥٤- كمقدمة لكتاب ضخم من سبعة أجزاء عن (تاريخ تركيا)، أظهر إعجابه الكبير بشخصية النبى محمد ﷺ وفكره، وتأثيره العظيم فى الحياة الإنسانية، وتوجهها إلى كل مايحقق لها الكرامة، والعزة، والسلام والأمان.

obeikandl.com